(2) مختار ,بن هندة .رهانات الواقع الارشيفي العربي اتجاه التحديات التكنولوجية والانظمة الشبكية المفتوحة : ورقة عمل مقدمة لندوة الارشيفات العربية بين الواقع والطموح 2005(متاح على الخطwww .26sep.net/newsweekarticle.php.(تاريخ الدخول 15-03-2007.

(3) Jack,franckline .libre accesse l'information scientifique et technique :etat de l'art et perspactives novembre 2002.www.insite.fr/open accesse/fr.etat-art/php(date de visite 12-04-2007

(4) http://archives-eprints .org (date de visite 09-04-2007)

(5) Piolat ,A .the editional peer revious process before and with

(6) Internet(on ligne).www.sciencedirect.com(date de visite 15-04-2007

عنوان المداخلة

نحو المحاضرة الفعالة

د/ رواب عمار

د/ غربي صباح

قسم التربية البدنية والرياضية قسم العلوم الاجتماعية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر بسكرة

ملخص:

لقد كانت الجامعة وما تزال مركزا للإشعاع الفكري وقطبا فاعلا في تغيير المجتمعات وتطويرها.

فمصير الأمم الكبيرة يرتبط دون شك في جزء كبير منه بنجاعة النظام التربوي والجامعي، ولا تمثل القوة الاقتصادية والاجتماعية سوى الانعكاس لجامعة كفؤة وقادرة على لعب دورها كقاعدة أساسية لكل حركية تغيير ودافع لكل تقدم حضاري وهي تعني بالفرد داخل المجتمع وبالمؤسسات التي تزوده بالمهارات وبالمعارف اللازمة ليصبح عنصرا فعالا في المجتمع إبتداء بالإدارة التي تزود النشء بالزاد المادي والمعنوي، ومرورا بالمؤسسات التعليمية .

وهذا ما سنتطرق له في هذه المداخلة.

Abstract :

The university was still a center of intellectual light pole and an active player in changing societies and their development.

The fate of nations large linked no doubt in large part effectively the educational system and university, and do not represent the economic strength and social only a reflection of the University of efficient and able to play its role as the basis for each kinetic change and motivation for any progress of civilization, which means the individual within society and the institutions that provide him with the skills and knowledge needed to become an instrumental in starting community management, which provides young people Balzad material and moral, through educational institutions.

مقدمة:

إن أهم ما يهدف إليه التعليم الجامعي خدمة المجتمع والارتقاء به حضاريا، وترقية الفكر وتقديم العلم، وتنمية القيم الإنسانية، وتزويد الوطن بالإطارات المختصة والخبراء المزودون بأصول المعرفة وطرق البحث المتقدمة للمساهمة في بناء المجتمع وصنع مستقبل الوطن وخدمة الإنسانية ولأن الجامعة معقل الفكر الإنساني في أرفع مستوياته، ومصدر الاستثمار وتنمية الثروة البشرية وبعث الحضارة العربية والتراث التاريخي للشعب العربي.

كما أن الجامعة يمكنها خدمة المجتمع عن طريق الإسهام في ربط البحث العلمي باحتياجات قطاعات الإنتاج والخدمات، وربما كان من إحدى الوسائل لتحقيق ذلك تخصيص أماكن في مؤسسات التعليم العالي لعدد من الشركات والمؤسسات الصناعية لتتخذ منها مقار تتفاعل فيها من خلالها مع الهيئات التدريسية والطلبة والمختبرات وتتعاون على دراسة المشكلات التي تواجهها قطاعات الإنتاج المختلفة وتعوق تطورها، ومن ثم تعمل على تقديم الحلول لها، هذا المقار هي التي تسمى محطات العلوم وقد انتشرت في بعض البلاد الصناعات المتقدمة حتى أصبح يشترك عدد كبير من الشركات الصناعية في الجامعة الواحدة تتخذ لها فيها مقار أو محطات علمية، وإذا تعذر انتقال شركات الصناعة إلى الجامعات فالحل البديل أن تنتقل الجامعات إليها عن طريق السماح لأعضاء هيئة التدريس بالعمل في تلك الشركات مدد محدودة، لأهداف معينة، الأمر الذي يجعلهم يتعرفون على مشكلات الصناعة في الواقع، وينقلونها إلى الجامعات، ويجعلونها مدارا لبحوثهم ونماذج علمية يدرسونها لطلبتهم بدلا من الاقتصار على تعليم نظريات مجردة ، تنتهي مع الزمن إلى عزلة الجامعات عن مجتمعاتها (1) .

من المعروف أن الصلة بين التعليم والاقتصاد صلة وثيقة؛ فالتعليم يساهم في التنمية بصورة مباشرة من خلال ما يُقدمه لها من قوى بشرية متعلمة ومن معارف علمية هي ثمرة البحث العلمي الذي يرتبط بالتعليم، وما يغرسه من مواقف تجاه العمل والتنظيم والمجتمع تحابي جميعها التنمية بشكل أو آخر ومن جانب آخر فالاقتصاد يوفر للتعليم موارده المختلف.

ومع أخذ المجتمعات النامية بفكرة التخطيط والتنمية، أصبح ينظر إلى التعليم بوصفه استثمارا بشريا يحقق عائدا اقتصاديا على كل من الفرد والمجتمع، واختفت تماما تلك الدعاوى التي أكدت على أن قياس العائد الاقتصادي من التعليم من الأمور الصعبة، لأنه ظهرت اتجاهات جديدة تؤكد وتدعم بالدراسات والأبحاث القيمة الاقتصادية للتعليم.

وباعتبار الجامعة واحدة من المؤسسات التعليمية لها دور فاعل في تغيير المجتمعات وتطويرها، فقد قطعت شوطا كبيرا في هذا الإطار في الدول المتقدمة، أما في الدول النامية فما تزال في بداية الطريق وذلك نظرا لعدم إعطاء الأولوية اللازمة لها –الجامعة– وللبحث العلمي حيث أصبح إنشاء الجامعات مجرد تقليد شكلي لا يختلف دورها عن باقي الوسائط التربوية الأخرى.

1- مفهوم الجامعة :

تعرف الجامعة بأنها مؤسسة علمية مستقلة ذات هيكل تنظيمي معين وأنظمة وأعراف وتقاليد أكاديمية معينة ، وتتمثل وظائفها الرئيسية في التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع ، وتتألف من مجموعة من الكليات والأقسام ذات الطبيعة العلمية التخصصية وتقدم برامج دراسية متنوعة في تخصصات مختلفة منها ما هو على مستوى البكالوريوس ومنها ما هو على مستوى الدراسات العليا تمنح بموجبها درجات علمية للطلاب (2) .

كما تعرف الجامعة أيضا بأنها " مؤسسة اجتماعية طورها المجتمع لغرض أساسي هو خدمته، وخدمة المجتمع حسب هذا المفهوم تشمل كل جانب من جوانب نشاطات الجامعة" (3) .

كما تعرف الجامعة على أنها تمثل مجتمعا علميا يهتم بالبحث عن الحقيقة ووظائفها الأساسية تتمثل في التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع الذي يحيط بها (4) .

وفى هذا التعريف تأكيد على أهم الأدوار والوظائف الذي تقوم بها الجامعة تجاه المجتمع هي البحث العلمي والتدريس وخدمة المجتمع .

2- الظروف التي تؤثر على التدريس في الجامعات:

تواجه الجامعات، كمراكز للتعليم المتقدم، تحديات عديدة فالأمم تتطلع إليها بحثا عن الأفكار الأكثر فاعلية في العديد من المواطن ومن ضمنها التربية، والصحة والزراعة...الخ، وتسعى المنظمات بصورة منتظمة للحصول على الخدمات الاستشارية من الجامعات وذلك بغية الحصول على الإرشادات المتعلقة بالمشاريع ذات الكلفة، ويحاول العديد من الناس الدراسة بجد وبذل الكثير من الوقت والمال بهدف الحصول على التعليم الجامعي والتهيئة للحياة العملية.

تواجه الجامعات مجموعة من التحديات الاجتماعية والاقتصادية التي ينبغي أن نأخذها بعين الاعتبار عندما نقوم بتخطيط منهج دراسي وذلك لكي يكون مثل هذا المنهج على درجة عالية من الفعالية عند التدريس، وفي هذا الجانب فإن تقدير المتطلبات سيكون ذا جدوى، **لكن ما هي الظروف التي تؤثر على التدريس في الجامعات؟** سنقوم بتعريف البعض.(5)

أ. **متطلبات وخصائص الطالب:**

إن العديد من الطلبة يأتون إلى الجامعات من مدارس قد تقع في مناطق ريفية لذا فهم يحتاجون بعض الوقت لكي يتفاعلوا بكفاءة في مثل ذلك المحيط الجديد، ويرجع ذلك إلى كون بيئة الجامعة بالمقارنة مع البيئة التي ينحدرون منها تمثل شيئا مجهولا وأكثر تقديرا لمسألة الوقت وأعقد من حيث التركيب وأكثر توجها من الناحية التقنية وربما يجد هؤلاء الطلبة صعوبة في استخدام المكتبات، والتخطيط للجدول اليومي أو العمل مع الآخرين ممن يعودون إلى مناطق مختلفة وقد ينتابهم شعور بالوحدة والقلق.

ويواجه الكثير من الطلبة مشكلات واضحة فيما يتعلق باللغة المستخدمة في التدريس كونها لا تمثل في الغالب لغتهم الخاصة وفي بعض الحالات يكون تدريبهم السابق في حقل التدريس غير كاف وكنتيجة لذلك ربما يصادفون بعض الصعوبة في متابعة المحاضرات وفهم المادة الدراسية، وتدوين الملاحظات بالإضافة إلى ذلك ليس من السهل على مثل هؤلاء الطلبة توجيه الإجابة عن الأسئلة بصورة واضحة وكتابة التقارير والبحوث الفصلية.

هناك مشكلة أخرى تختص بالمواقف التي يبديها الطلبة إزاء التعليم والتعلم، على سبيل المثال يتقدم العديد إلى الجامعة على أساس المنافع المالية والمكانة الاجتماعية أكثر من القدرة الأكاديمية والمواهب الخاصة، بينما نادرا ما نلاحظ البعض يقوم بقراءة الكتب حالما تغلق المدارس أبوابها.

وباختصار حين لا يقوم الطلبة بربط عملية التعلم باهتماماتهم وقابلياتهم أو حين يرونها على أنها عملية متواصلة عندها يصبح التدريس عملية تنطوي على جانب من الصعوبة.

ب. المحاضرون، المقررات الدراسية، التسهيلات:

إن الكثير من المحاضرين لم يأخذوا حصة من التدريب فيما يتعلق بطرق التدريس أو في مبادئ التعليم. وما يضاف إلي ذلك ، أن نسبة ملحوظة منهم يمتلكون شهادة أولية، وكذلك يشعر المحاضرون بعدم الرضا حيال الظروف غير المشجعة على التدريس و التعليم و البحث فعلى سبيل المثال، المشكلات المتعلقة بإعداد الترتيبات المناسبة للعمل الميداني، والنقص في مواد المطالعة، والتسهيلات المتواضعة ، كل ذلك يثبط من عزيمتهم في المضي بواجباتهم بصورة فعالة.

وهناك عدد من المسؤوليات الملقاة على عاتقنا والتي لا ترتبط مباشرة بالتدريس والبحث، إلا أنها مع ذلك تؤثر على نشاطاتنا المهنية ، وكوننا من بين القلة التي تلقت التعليم العالي في مجتمعاتنا، يطلب منا مرارا الانخراط في شتى اللجان الاجتماعية وعلينا أيضا العناية بالأقارب الذين يتوقعون منا الدعم المالي وأشكال المساعدة الأخرى، وقد يجد البعض منا صعوبة في توفير السكن لعائلته، تبعا لذلك، يكون من العسير التركيز علي التدريس ومواصلة البحث. (6)

***أهم الخصائص الواجب توفرها في المحاضر الجيد:**

1. التحدث بصورة معتدلة.
2. امتلاك صوت قوي (جوهري) واضح ونطق سليم.
3. التنويع في نغمات الصوت.
4. توظيف الأسلوب الإلقائي الحواري.
5. استخدام اللغة البسيطة والمصطلحات التي تكون سهلة الفهم.
6. حسن استعمال التعبيرات الوجهية والإشارات.

7. التمتع بشخصية مرحة وعدم التخوف من إظهار الابتسامة.
8. التركيز والنظر إلى الطلبة واحدا واحدا تارة وعلى الصف بصورة عامة تارة أخرى.
9. التميز بالنشاط الدائم وبعث روح الحماس في أساط الطلبة.(7)

أما بخصوص المواد فإن الكثير من الكتب المنهجية لا تتضمن مواضيع وثيقة الصلة بما يحيط بنا، أو توضيحات أو تمارين. إضافة لذلك، ربما تكون لغة هذه الكتب صعبة بالنسبة للطلبة، وما هو أسوأ من ذلك، أن هنالك نقصا في هذه الكتب و المجلات.

وهنالك مشكلة أخرى تتمثل في الافتقار إلى قاعات للمحاضرات والنقاشات الدراسية فلماذا لا نتمكن من حل تلك المشكلات؟ يعود السبب في ذلك إلى مشكلات أخرى مثل: تحديدات الميزانية، الافتقار الفني المؤهل لتهيئة المواد، والمحفزات غير الكافية للمحاضرين، والافتقار إلى الجهات المانحة، وما شابه ذلك.(8)

ج. عملية التقييم:

إن ما نقوم به من عملية تقييم للطلبة لا يوازي ما يتوجب علينا القيام به، حيث يبدو لنا أن الامتحانات النهائية هي العامل الحاسم في عملية التقييم التي نقوم بها فلماذا يكون ذلك؟

ففي بعض الأحيان، يصبح الفوج كبيرا جدا ونكون مرهقين نتيجة الساعات المخصصة للمحاضرات والواجبات البحثية والإدارية، وكذلك نجد أنه من الصعب القيام بالترتيبات اللازمة لتقييم الطلبة موقعيا أو في مواقف عملية، علاوة على ذلك، في الجامعات التي تعطي فيها الامتحانات الإضافية (التكميلية)، بالإضافة إلى الامتحانات المنتظمة، فإن من العبء القيام بإعداد سلسلة من الامتحانات بصورة مناسبة ، وتصحيح الأوراق الإمتحانية بعناية وإعطاء المعلومات الاسترجاعية للطلبة.

وهناك مشكلات أخرى تتعلق بتقييم الطلبة، ففي بعض الحالات يقوم أساتذة مختلفون بتدريس شعب مختلفة من نفس المقرر، لكنهم لا يستخدمون نفس أسلوب التقييم ويبدو كذلك أن العديد من الأساتذة ليسوا متمكنين بما فيه الكفاية مع الطرق و الأساليب المناسبة لوضع الأسئلة، واستعراض الأسئلة الإمتحانية وتحليل النتائج، بالإضافة إلى ذلك يتم النظر إلى الامتحانات غالبا على أنها أساس لتحديد المستويات وأن أهمية النتائج الإمتحانية في تحسين عملية التعليم – التعلم، لا يتم وضعها موضع التقدير بصورة مناسبة.(9)

3- تعديل الطرق التدريسية

يتم تدريس بعض الموضوعات عن طريق استخدام طرق تعليمية محددة فعلى سبيل المثال، ينطوي درس التاريخ على السرد والتفسير. ومن جانب آخر تتطلب المواد التقنية إلى الرسم التقني (الهندسي) والطباعة والشرح، والجانب العملي. إن إتقان الرموز لم يحظى بذلك التأكيد في العلوم السياسية مثلما هو عليه في الفيزياء والرياضيات أما التمارين الشفوية فإنها أكثر ملائمة لتدريس اللغة من دروس الجغرافيا.

أ. تنظيم العرض ووضوحه:

إن تنظيم عملية العرض (التقديم) تساعد الطلبة على تفعيل المعرفة ذات الصلة ورؤية الكيفية التي تناسب فيها فكرة أخرى، وتوقع الفكرة اللاحقة، وكذلك فإن اللغة البسيطة والأشكال غير المعقدة، والخطوات الواضحة ، تساعد في عملية الفهم أو استيعاب النقاط البارزة دون عناء، بالإضافة لذلك فإن المحافظة على نسبة صحيحة من العرض يكون على جانب من الأهمية لأن باستطاعة الطلبة التعامل مع كمية محدودة من المعلومات في زمن معين علاوة على ذلك فإن الإطناب أو تكرار فكرة ما بصيغ مختلفة، من شأنه التأكيد على أنه لم يتم تجاوز أية نقطة أو فهمها بصورة خاطئة.

ب. النمذجة:

كمحاضرين جامعيين، قد نتمكن من التأثير على طلبتنا، حتى من خلال طرق لا تتم توضيحها بصورة صريحة في أهداف المنهج وخطوطه العريضة، فالتروي والعناد والجدة والترتيب كلها مزايا من الممكن ترسيخها لدى طلبتنا من خلال النمذجة بعبارة أخرى، فإن الطلبة غالبا ما يقومون بتبني مثل تلك السلوكيات التي تصلح أن تكون أمثلة، حتى حينما لا يدرسون عنها شيئا.

ج. التمارين و المعلومات الإسترجاعية:

هنالك القليل من الأفكار التي تختص باستخدام التطبيق والمعلومات الإسترجاعية (معرفة النتائج) في نشر التعليم، سنلقي نظرة البعض منها.

إذا ما قمت بتشجيع الطلبة على تطبيق معرفتهم ومهاراتهم في ظروف مختلفة، فإن ذلك سوف يسهل من عملية تطبيق الأفكار والمهارات على مواقف وحالات جديدة، ففي المواد التي تتضمن الكثير من المعلومات الشفوية، سيجد الطلبة أن الشرح الموسع يكون ذا تأثير أكبر بهدف الاستيعاب والحفاظ على المعلومات وخزنها من مجرد التكرار البسيط

ولدراسة النص، من الممكن أن تكون الأساليب التالية ذات فائدة: المسح، السؤال، القراءة، الربط، التكرار، والاستعراض أما الأساليب الفردية مثل : اقتفاء أثر أصل المصطلحات والتوضيح وإعطاء الأمثلة وتكوين الصور الذهنية وتجزئة التمارين إلى نسب يمكن معالجتها، وتصنيف المعلومات حسب التسلسل، والنوع، وتصوير المعلومات بهيئة الأشكال التوضيحية، وتحديد التضمينات و التخليص، فإنها من الممكن أن تكون مفيدة ومساعدة. إن المعلومات الإسترجاعية التي تتضمن شكلا من أشكال المكافأة مثل: الإطراء أو الامتيازات تساعد على تعزيز الأداء والمثابرة.(10)

4- مشكلات عامة لطريقة المحاضر:

هناك مشكلات عامة لطريقة المحاضرة يمكن تصنيفها بصورة عامة إلى:

أ. مشكلات تتعلق بالمشاعر الشخصية للمحاضر:

من الأمور الشائعة أن كل المحاضرين تقريبا ينتابهم القلق والعصبية عندما يواجهون جمهورا للمرة الأولى، وقد تكون نتيجة ذلك تلجلج المحاضر وتزايد الشعور بعدم الثقة وسيطرة الخوف من عدم القدرة على الإجابة على الأسئلة التي قد توجه إليه وتفادي الحوار مع الطلبة.

وهناك عدة طرق لمعالجة الشعور بالعصبية من جانب المحاضر، إحداهما أن يعد نفسه جيدا قبل المحاضرة إضافة إلى تجنبه الغموض والألغاز ويخفف من الشعور بالسلطة وأن ينقل الحوار إلى الطلبة، طريقة ثالثة هي أن يغير في وضعه عندما يشعر بالعصبية فإذا كان جالسا وقف وتحرك أو تحرك نحو السبورة لكتابة شيء ما.

ب. مشكلات تتعلق بعملية الاتصال:

لا شك أن عملية الاتصال تمثل محورا رئيسيا للمحاضرة وعليها يتوقف نجاح المحاضر أو فشله، ولا شك أيضا في أن لكل محاضر طريقته وأسلوبه الخاص، ولكن على الرغم من ذلك هناك عدة شروط رئيسية تضمن نجاح عملية الاتصال منها التأني في الكلام والوقوف بين لحظة وأخرى لإعطاء الطلاب فرصة للتفكير فيما سمعوه، ومنها أيضا ألا يطيل النظر إلى مذكراته وألا يلجأ إلى الإملاء، ويمكن للمحاضر من أن يتأكد في بداية المحاضرة أن كل الطلبة يسمعونه بتوجيه سؤال مباشر لهم وأن يطالبهم برفع أيديهم عاليا إذا تعذر سماعهم له.

ج. مشكلات تتعلق بإعداد المحاضرة وتنظيمها:

من المنطقي في بداية أي عمل أن نحدد الأهداف التي نرمي إليها ونسعى لتحقيقها، وينطبق ذلك أيضا على المحاضرة فيجب أن يحدد المحاضر أهداف المحاضرة في ضوء محتوى المقرر وأهدافه وفي ضوء المعرفة السابقة لطلابه. (11)

5- نحو المحاضرة الفعالة (12)

هذه بعض الأمثلة والتوضيحات لكيفية جعل محاضرتك أكثر فاعلية:

الأمثلة/ التوضيحات	الاقتراحات
على سبيل المثال: في نهاية محاضرة كرة السلة يتوقع من الطلبة تحديد الحركات اللازمة لتسجيل هدف.	1- تحديد الأهداف التي يتوقع من الطلبة تحقيقها في نهاية المحاضرة

استخدام الخبرات من الدروس السابقة، ثم طرح الأسئلة على الطلبة لاستخلاص بعض المعلومات من المحاضرة الجديدة، فمثلا عند تدريس التحليل الحسي الحركي للاعب الرياضي يمكن طرح أسئلة تتعلق بالارتباط	2- استخدام الخبرات السابقة المكتسبة كمقدمة لمحاضرة حديثة
يمكن توضيح ذلك من خلال تفسير ارتباط المفاهيم مع مفاهيم أخرى وتوضيح خصائصها وسماتها.	3- توضيح مفاهيم أساسية بطرق متعددة
استخدام الأوراق، ورموز، الجداول، النماذج، الملخصات، التقارير السنوية، أو الاستعانة بأشخاص من ذوي الاختصاص	4- استخدام مصادر متعددة للمحاضرة
كطرح أسئلة تتعلق بأصل الإنسان، العلاقة بين اللغة والتفكير، أو مفهوم التطور	5- طرح أسئلة مربكة للطلبة
استخدام مفردات بسيطة، وجمل قصيرة، أصمت للتأكد من أن الطلبة يتابعونك، قم بكتابة المفردات والمصطلحات المهمة على السبورة.	6- استخدام لغة سهلة ومنظمة 7- شجع مشاركة الطلبة
اطرح الأسئلة أثناء المحاضرة وشجع الطلبة على طرح الأسئلة أيضا من خلال تجاربهم الذاتية، واسمح لهم بإجراء العروض العملية.	8- استخدام طرق مختلفة لجذب انتباه الطلاب
استخدام الإيماءات، التواصل العيني، ملامح الوجه، النبرات الصوتية...الخ	9- استخدام التوضيحات من واقع الطلبة
مثلا في تدريس قوانين العلوم الطبيعية أو الأحياء أو الكيمياء يمكنك طرح الأسئلة المتعلقة بالخضراوات أو أية مواضيع يومية	10- تجنب مشتتات الانتباه
كعادة الطرق على المنضدة، أو استخدام بعض الألفاظ المتكررة مثل (إم)، (آه)	11- أظهر المرونة في المحاضرة
تصرف بحكمة أثناء مواجهة القضايا المتعلقة بالمنهاج، الساعات المكتبية والأسئلة غير المتوقعة.	12- أظهر الاهتمام بالمحاضرة والمناقشات
استخدم المعلومات الحديثة وشجع وجهات نظر الطلبة.	13- تحسس مشاكل الطلبة قبل حدوثها فيما

تجنب الخلط بين المفاهيم والمصطلحات مثل الدلالات الاحصائية، والدلالة العملية	يتعلق بفهمهم للمفاهيم والمصطلحات.
لا تتقبل الأسئلة المبهمة والعامة، وأطرح الأسئلة للتأكد من الفهم فقط	14- أطلب من الطلبة أن يطرحوا الأسئلة باختصار ودقة
أعط الفرصة للطلبة للإجابة على الأسئلة والتأكد منها بأنفسهم.	15- أعط الفرصة للاكتشاف والتوجيه والضبط الفردي

6- علاقة الجامعة بالمحيط الاجتماعي:

إن إدراك المجتمع لقيمة الثروة البشرية كان الدافع الأساسي إلى الاهتمام بالتعليم والتدريب، إضافة إلى التفكير في الوسائل الفعالة التي توفر أفضل فرص التعليم والتدريب لأفراده وفقا لقدراتهم وقابليتهم، والتي تتيح لكل فرد من أفراد المجتمع حصته من التعليم والتدريب من خلال عمليات الإعداد المهني في صورها المتعددة بهدف تنمية هته الثروة البشرية.

وإذا كانت الجامعات في الدول المتطورة في علاقة تفاعل متبادل واستجابة دائمة لظروف محيطها وحل قضايا مجتمعها، فإنها في الدول النامية ما تزال دون ذلك.

لا يمكن الحديث عن أزمة الجامعات في الوطن العربي وكأن الانتشار المكثف للتعليم العالي لم يخلق إلا الاختلالات الخطيرة، لكن هذه الاختلالات يمكن إيجاد حلول لها عن طريق وضع طرق ونماذج جديدة لتنظيم الدراسة فيها ولهذا تتجلى الأزمة العامة المجتمعية للمؤسسة التربوية أكثر في الجامعة، ورغم تطور التعليم الجامعي وكذلك البحث العلمي عبر العالم، إلا أن لب التحدي الحقيقي للتعليم الجامعي المعاصر يتمثل في دوره المتجدد باستمرار في خدمة المجتمع بل وقيادة التغيير فيه، إن فلسفة التغير التربوي والاجتماعي تستند إلى عنصري المحافظة والتجديد وهما طرفا معادلة صعبة قد يبدو أحيانا أنهما متناقضان ولكن الواقع أن التغير التربوي المتزن يقوم على أساس التوازن الدقيق بين طرفي المعادلة، ففي الوقت الذي يستند التغير فيه على الأساس المحافظ يخطو رويدا إلى الأمام في ثقة وانتظار واستقرار تميزه عن التغير الجذري أو الراديكالي الذي يقتص الجذور التقليدية ويبدأ من جديد وهو ما يسمى أحيانا بالتغير الثوري.

يعكس تحليل تراث تاريخ المجتمعات البشرية وتطورها طبيعة الاهتمام بالنظام التعليمي (13)، باعتباره من أهم النظم الاجتماعية التي تؤثر في طبيعة الحياة الاجتماعية ككل، كما ارتبط التعليم بنوعية التقدم الذي أحرزته المجتمعات وشعوبها، وما تركته من آثار وحضارات تبرهن على مدى اهتمام كثير من المجتمعات البشرية بطبيعة التعليم ومؤسساته المختلفة، والتعليم كنظام اجتماعي ارتبط بنوعية البناءات الاجتماعيةSocials Structures التي ظهرت في المجتمعات البشرية، فلقد تأثر التعليم بنوعية النظم الاقتصادية والسياسية والقانونية...الخ، التي ولا تزال

توجد في هذه المجتمعات، ومن ثم من الصعوبة أن تدرس هذا النظام التعليمي بعيدا عن التغيرات الاجتماعية التي تحدث في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية.

من هذا المنطلق، نجد أن معظم علماء العلوم الاجتماعية ركزوا على دراسة النظام التعليمي، محاولين التعرف بوضوح على طبيعة هذا النظام، وما يحدث بالفعل على كل من الفرد والمجتمع المحلي والقومي والعالمي، ويشارك علماء الاجتماع والنفس، والتربية والتاريخ، والسياسة وغيرهم من علماء العلوم الطبيعية الأخرى التي تسعى وتهتم بالتعليم، خاصة وأن هذا الأخير يعتبر الوسيلة التي يمكن عن طريقها الحصول على المعرفة الإنسانية Humain Knowledage، وهذا ما يكشف عموما طبيعة أهداف العلوم الاجتماعية والطبيعية معا السعي من أجل زيادة معرفة الإنسان بما يحيطه من أشياء وظواهر طبيعية واجتماعية في نفس الوقت.

ويوضح لنا التراث المعرفي للمجتمعات الإنسانية أن طبيعة نشأة الحضارات وازدهارها وتطورها، إنما حدثت نتيجة الاهتمام بالتعليم كعنصر أساسي للتحديث والتقدم والتغيير، ويتميز المجتمع الحديث بأنه المجتمع الذي يعتمد على التخصص والعلم كأساس أو سمة من السمات، التي تجعله يختلف عن بقية المجتمعات البشرية والسابقة.(14)

لقد كشفت تحليلات سابقة حول العلاقة المتبادلة بين التعليم عموما وعمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، كيف يمكن اعتبار التعليم وسيلة لإحداث التغير الاجتماعي الشامل والمستهدف في المجتمعات في الوقت الحاضر، فهناك كثير من القضايا الأخرى التي يهتم بدراستها علم الاجتماع والمتخصصين في مجال علم الاجتماع التربوي، عندما يحللون العلاقة المتبادلة بين النظام التعليمي والمؤسسات التعليمية ونوعية المجتمعات التي توجد فيها.

ومن أهم قضايا الاستثمار التعليمي Educational Investment، تلك القضية التي تعكس بوضوح جوهر العلاقة بين التعليم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، ولقد اهتم كثير من علماء الاجتماع والتنمية والاقتصاد بدراسة الاستثمار التعليمي من جوانب متعددة، ويرجع التغيير لنظرية رأس المال البشري Humain Capital Theory، التي ترتبط بتصورات تيودور شولتز T.Schultz، في تحليلها لأهمية التعليم واعتباره المكون الأساسي لرأس المال البشري.

وعلى الرغم مما هو معروف أن نظام التعليم الياباني الأساسي العام يعد من أحسن النظم التعليمية في العالم فإن اليابانيين منشغلون دوماً في عمليات الإصلاح (مراجعة دورية إجبارية للمناهج كل خمس سنوات). كما أن الولايات المتحدة قد شعرت بتدهور تنافسيتها وعزته إلى قصور نسبي في نظامها التعليمي، فأجرت الإصلاحات اللازمة بعد تقرير "أمة في خطر". كما أن الأوروبيين يجرون تعديلات على نظامهم التعليمي (مثلاً برنامج أوريكا)، فإذا كان حال الأمم المتقدمة تجاه منظومتها التعليمية بهذا القدر من التخوف على نوعيتها ومدى

ملاءمتها فإن البلدان العربية أحوج ما تكون إلى مثل هذه المراجعة المستندة بآن واحد إلى التحليل الاقتصادي وإلى قيم اكتساب المعرفة في التطور الإنساني.

7- التعليم العالي والتنمية الاجتماعية:

يحتل التعليم العالي مكانا بارزا في التنمية الاجتماعية بل التنمية الشاملة، و قد لا نتجاوز الحقيقة حين نذكر أن التنمية حتى عند الذين يتصورون مفهومها تصورا جزئيا . اقتصادية أو اجتماعية . لا يغفلون دور التعليم بصفة عامة، والتعليم العالي . بصفة خاصة . و يجعلونه في مقدمة الركائز الأساسية التي تقوم عليها التنمية، باعتبار الإنسان هو العنصر الأساس في كل مشروعات التنمية، ولا يمكن صياغة الإنسان وإعداده إلا من خلال برامج وخطط تعليمية وتربوية تتناسب مع متطلبات التنمية علميا وفكريا ومهنيا بحيث يكون الإنسان مهيّئا للقيام بالدور المطلوب منه في ذلك .

فالتعليم العالي يعتبر أحد المقومات الأساسية لمشاريع التنمية في مختلف جوانبها حيث تعتمد الدول في دراساتها المسبقة لمشروعات التنمية الشاملة على دراسة الواقع التعليمي، ومدى تأثيره على هذه المشروعات سواء كانت في مجال التنمية الاقتصادية أو الاجتماعية أو التربوية أو غيرها مما يعد فروعا للتنمية الأساسية وهي التنمية البشرية، فالإنسان هو الهدف لكل هذه المشروعات فمنه وإليه توجه برامج التنمية المختلفة، إذ أن الإنسان هو عنصر العمل الذي تقوم به هذا البرامج، يقول الدكتور/ نادر الفرجاني: "المقصود بالتنمية البشرية هنا هو تنمية عنصر العمل ضمن العملية الإنتاجية، وهي لا تختلف في ذلك عن تنمية المصادر المالية، الطبيعية، وهي تعني بالفرد داخل المجتمع وبالمؤسسات التي تزوده بالمهارات وبالمعارف اللازمة ليصبح عنصرا فعالا في المجتمع ابتداء بالإدارة التي تزود النشء بالزاد المادي والمعنوي، ومرورا بالمؤسسات التعليمية – التي تلقنه مبادئ الاستدلال المنطقي وتزوده بالمعارف والمهارات الأساسية، وبالمؤسسات الاقتصادية عبر التلمذة والتدريب المستمر – التي تجعله يواكب التطورات التقنية الحديثة وينمي إنتاجيته باستمرار، وانتهاء بالتنظيم الاجتماعي الكفء الذي بدونه تبقى القوى البشرية مجرد إمكانيات غير مستغلة "(15) .

والواقع أن التعليم العالي يؤثر في التنمية، وخاصة التنمية الاجتماعية تأثيرا مباشرا، حيث يستطيع الإنسان المتعلم أن يصوغ مشروعات التنمية وبرامجها وفقا للدراسات والبحوث والمقاييس العلمية السليمة التي تجعل من هذه البرامج والمشروعات مطابقة لحاجته ولواقعه بل ولتطلعاته المستقبلية، كما يستطيع أن يستخدم الأدوات العلمية في القياس والتقويم للنتائج التي تصل إليها هذه البرامج، ويحلل هذه النتائج لقياس مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف المرسومة للتنمية في مجتمعه، وبين وضع المشروعات والبرامج وانتهاء بالتقويم والقياس تحتاج هذه

المشروعات والبرامج إلى إنسان متعلم يستطيع أن يفهم ويطبق هذه التنمية في أحدث ما يمكن أن يستفيد منه سواء كان ذلك في ميدان النظريات والتصورات أو في ميدان استخدام الأجهزة والوسائل والمعدات التقنية الحديثة .

ولذا فإننا لا نبالغ إذا قلنا إن أي مشروع للتنمية في أي مكان من العالم لا يمكن أن يؤسس على قواعد صحيحة ويحقق أهداف إذا لم تتولاه عناصر بشرية متعلمة، مدربة ومؤهلة على تنفيذه .

وقد عُني الباحثون والدارسون للتنمية بالتعليم العالي وأهدافه وأسسه ومخرجاته التي تقوم عليها برامج التنمية، فبمقدار ما تتم صياغة فلسفة التعليم العام والعالي وسياساته وأهدافه وبرامجه صياغة جيدة تراعي احتياجات المستقبل من القوى العاملة المؤهّلة والمدرّبة لتحقيق برامج، تتم الاستفادة من نتائجه بصورة إيجابية وجيدة، أما إذا وضعت هذه الأهداف والبرامج التعليمية دون مراعاة لحاجة المجتمع وتوقعاته المستقبلية فإن ذلك يؤخّر مسيرة برامج التنمية، بل قد يتحول ذلك إلى معوقات تقف أمام تلك البرامج وتشكل مع مرور الأيام تراكما من المشكلات تصعب معالجته.

لذا نجد الباحثين قد اهتموا بتعليم الفرد وتكوينه ومحاولة الكشف عن جوانب الضعف والقوة فيه من خلال تعليمه تعليما جيدا يحقق الأهداف المطلوبة منه مؤكدين على أهمية النظرة الشمولية للإنسان باعتباره كائنا يتمتع بخصائص ومميزات نفسية وعقلية وجسدية يحتاج كل منها إلى أن يُفرد باهتمام ورعاية المخططين لسياسات التعليم وأهدافه وغاياته .

وفي ظل هذا التصور لدور التعليم في تنشئة الإنسان و تعليمه حتى يؤدي دوره في التنمية استطاعت كثير من الدول – خاصة الغربية – أن تصوغ التربية والتعليم وفق هذا التصور، مما حقق لها خطوات واسعة في مجال التنمية الشاملة.

فقد أثارت وثيقة اليونسكو التي أعدتها للمسئولين العرب عن التعليم في اجتماعهم المنعقد في عمان/ الأردن قضية تخلف التعليم العالي حيث جاء في هذه الوثيقة ما يلي: "إن واقع التعليم العالي العربي، بالرغم من التطورات الكبيرة التي حدثت في العقود الثلاثة الأخيرة، إلا أنه لا يزال يعج بالسلبيات المتعددة التي تعيق مسيرته نحو المشاركة الفعالة في تحقيق التنمية الشاملة، بما يقتضي ضرورة إعادة النظر في فلسفات التعليم العالي وأهدافه وممارساته، وإدخال تعديلات جوهرية على مختلف عناصره إذ ما أريد له أن يلعب أدوارا أكثر فعالية في تحقيق التنمية العربية (16) .

8- أهداف الجامعة لخدمة المجتمع :

يحدد المتخصصون أن للجامعة ثلاثة مجموعات من الأهداف وتتلخص في الأهداف التالية :

أهداف معرفية : وهى تتناول ما يرتبط بالمعرفة تطورا أو تطويرا أو انتشارا .

أهداف اقتصادية : والتي من شأنها أن تعمل على تطوير اقتصاد المجتمع والعمل على تزويده بما يحتاج إليه من خامات بشرية وما يحتاج إليه من خبرات في معاونته للتغلب على مشكلاته الاقتصادية وتنمية ما يحتاج إليه من مهارات وقيم اقتصادية.

أهداف اجتماعية : والتي من شأنها أن تعمل على استقرار المجتمع وتخطى ما يواجهه من مشكلات اجتماعية(17)

وتتمثل الأهداف الاجتماعية فيما يلي :

تزويد المجتمع بحاجاته من القوى العاملة المدربة تدريبا يتناسب وطبيعة تغير المهن .

تدريب الطلاب على ممارسة الأنشطة الاجتماعية مثل مكافحة الأمية ، الإدمان ، نشر الوعي الصحي وغيرها .

تكوين العقلية الواعية لمشاكل المجتمع عامة والبيئة المحلية خاصة .

ربط الجامعات بالمؤسسات الإنتاجية في علاقة متبادلة .

الربط بين نوعية الأبحاث العلمية ومشاكل المجتمع المحلى .

تفسير نتائج الأبحاث ونشرها للاستفادة منها في المجتمع .

إجراء الأبحاث البيئية الشاملة التي تعالج بعض المشكلات المتداخلة (18).

وهكذا يبدو أن أهداف الجامعات في المجتمعات الديمقراطية لابد أن تختلف عن أهدافها في المجتمعات الشمولية لما بين من المجتمعات من اختلافات ولذلك يجب صيانة الأهداف التعليمية بما يتناسب مع ما حدث من تغير في أوضاع العالم .

خاتمـة:

إن الجامعة في أي مجتمع كان لا يمكن أن تؤدي دورها الكامل في التغيير الاجتماعي بدون تحقيق التفاعل بين الفرد من ناحية والبيئة الاجتماعية من ناحية أخرى. وقد اعترف الكثير من المربين بعلاقة التعليم المدرسي والجامعي بالتغيير الاجتماعي لأنهما يقويان المهارات ويذكيان روح الابتكار لدى الفرد. إن التعليم الجامعي في المجتمعات النامية له أثر كبير في عملية الرقي الاجتماعي لأنها تساعد على تحسين أوضاع الطبقات الفقيرة من السكان وتيسر فرص العمل للأفراد وترفع مستوى معيشتهم. وكما قيل على الجامعة أن تؤدي كل الوظائف التي يفرضها المجتمع.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك توجها في الجامعات حاليا نحو التعليم لتلبية حاجة الفرد وحاجة المجتمع من مهن مختلفة وهذا يعني تعليما موجها لسد حاجات المجتمع. وقد حدث هذا بعد الحرب العالمية الثانية مما أدى إلى مراجعة التركيبة الداخلية للجامعات التي كانت قائمة على تدريس مواضيع تقليدية تزود الطالب بالمهارات الأساسية وأصبحت فيما بعد ما تسمى بالتعليم الجامعي المتخصص المهني وقد طغى هذا النوع من التعليم على تعليم المهارات الأساسية التي كانت حجر الأساس في كلية الآداب. وأدى ذلك إلى وجود الكثيرين من حملة الشهادات المهنية بدون امتلاك المهارات الأساسية

ليس باستطاعتنا حل جميع المشكلات التي تواجه جامعاتنا ، مع ذلك ، فان إحدى الخطوات المهمة والمفيدة هي تحديد المشكلات المختلفة التي نعيشها ، ووضع طرق تعليمية تسهل من عملية التعليم. وفي هذا الخصوص، من المهم تشخيص بعض النقاط الرئيسة : أولا، مادام هنالك أنواع مختلفة من التعليم، فإن طريقة التدريس تتأثر إلى درجة ما بنوع الموضوع الذي نقوم بتدريسه ، ثانيا: بمقدورنا التدريس في مستويات مختلفة الحقائق البسيطة لتشجيع التقييم النقدي للأفكار وحل المشكلة، ثالثا: ما يعنينا في التعليم أخيرا هو ما يقوم به الطلبة في ضوء معالجة المعلومات وحل المشكلات. لذلك فان ما نقدمه كمحاضرين في المواقف التدريسية يكون هاما وذلك لتأثيره على نشاط الطالب، ورابعا وأخيرا: وجود شتى الأفكار لمساعدتنا في التخطيط لعملية التدريس .

قد تتفق معنا في أن الأهمية العملية لمبادئ التعليم وطرقه هي مركز اهتمامنا ، وذلك هو السبب الذي حدا بنا إلى استعراض عدد من الطرق التي من شأنها رفع مستوى التعلم في مواقف تعليمية مختلفة كالمحاضرات مثلا، والجلسات المخبرية والدراسة المستقلة.

ويتوجب أن نلاحظ أيضا، أن المحاضرين سوف يجدون من الصعوبة تحسين عمليات التعليم –التعلم لأنهم أنفسهم يواجهون عددا من المشكلات خارج نطاق سيطرتهم التي تعيق من مساهماتهم المهنية. لذلك تحتاج الجامعات والكليات أن تقوم بتشجيع ودعم المحاضرين بطرق عملية. وعلى الرغم من أن الفكر الجامعي يقدم مختلف المقترحات لتحسين عمليات التعليم –التعلم ، فإن فعالية تلك تعتمد على المقترحات التي يقدمها المعنيون ، معتمدين على احتياجاتهم الخاصة وظروفهم. كما يجب معرفة وحل جميع المشكلات في الوسط الجامعي من اجل المساهمة في بناء صرح اجتماعي قوى في الجزائر.

الهوامش:

1- ناصر الدين الأسد : تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي ، عمان ، روائع مجد لروى 1996 ص 11 –12

2- مليجان معيض الثبيتى : الجامعات ، نشأتها ، مفهومها ، وظائفها " دراسة وصفية تحليلية " المجلة التربوية _ الكويت _جامعة الكويت _مجلس النشر العلمي ع 54 2000 ص 214 .

3- محمود أحمد شوق ، محمد مالك محمد سعيد : تقويم جهود الجامعات الإسلامية نحو خدمة المجتمع والتعليم المستمر " دراسة مقارنة " المؤتمر القومي السنوي الثاني لمركز تطوير التعليم الجامعي " الأداء الجامعي والكفاءة والفاعلية والمستقبل " جامعة عين شمس ، مركز تطوير التعليم الجامعي 31 / 10 – 11/2 1995 ص149 .

4- أحمد أبو ملحم : أزمة التعليم العالي ، وجهة نظر تتجاوز حدود الأقطار ، الفكر العربي ، بيروت ، معهد الانتماء العربي ع98 1999 ص 21 .

5- محمد أحمد مرسي، التربية وقضايا المجتمع المعاصر، ط2، دار الكتاب الجامعي، الامارات العربية المتحدة، 002، ص 147.

6- محمد محمود الحيلة، طرائق التدريس واستراتيجياته، ط 2، دار الكتاب الجامعي، الامارات العربية المتحدة، 2002، ص ص (144-208)

7- بربرا مارتيرو وآخرون، الأساليب الابداعية في التدريس الجامعي، ترجمة: حسين عبد اللطيف بعارة، ماجد محمد الخطايبة، دار الشروق، عمان، 2002، ص 33.

8- محمد محمود الحيلة، نفس المرجع السابق، ص 209.

9- محمد خان، التقويم في الجامعة بين الهدف والإنجاز، الملتقى الوطني الأول حول البيداغوجيا، أيام 10/09 أفريل 2002، ص 114.

10- بربرا مارتيرو وآخرون، نفس المرجع السابق، ص ص(120-122).

11- محمد منير مرسي، الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه، عالم الكتب، القاهرة، 2002، ص ص(118-119).

12- بربرا مارتيرو وآخرون، نفس المرجع السابق، ص ص(127-129).

13- عبد الله محمد عبد الرحمن، سوسيولوجيا التعليم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.

14- سلوى عبد الحميد الخطيب، نظرة في علم الاجتماع المعاصر،الطبعة الأولى، مطبعة النيل، القاهرة، 2002، ص ص(547-551) .

15- أبو طالب محمد السعيد، رشراش أنيس عبد الخالق، **عوامل التربية-الجسمية والنفسية والاجتماعية-**، الطبعة الأولى، سلسلة علم التربية العام، الكتاب الثاني، دار النهضة العربية، بيروت، 2001، ص 120.

16- محمد منير مرسي، **الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه**، عالم الكتب، القاهرة، 2002، ص ص(118-122).

17- shannon .T,J & shoenfeld ,C.Auniversity Extension the center of Applied Research in Education , New yourk 1965 p3 .

18- عبد الفتاح إبراهيم تركى : مستقبل الجامعات العربية بين قصور واقعها وتحديات الثورة العلمية ، جدل البني والوظائف ، مؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي " أفاق مستقبلية " القاهرة رابطة التربية الحديثة مجلد أول 1990ص135 .